

التيار المدخلي والإخوان وجه وقفا لاستغلال الدين في لعبة السياسة

المدخلة يستثمرون طاعة ولي الأمر لفرض أفكار متشددة



يثير صمت السلطات على تصاعد التيار السلفي المدخلي في البلدان العربية مخاوف من انتشار التشدد داخل تلك المجتمعات نظراً لتغاضي السلطات عن أنشطتهم المستفيدة من مبدأ طاعة ولي الأمر الذي يرفعونه.

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

يستفيد التيار المدخلي من صراع الدول العربية مع جماعة الإخوان المسلمين، وسعيها للركوب على الدين وتطويع نصوصه للوصول إلى السلطة، ويستغل هذا المناخ من أجل فرض حضوره كامر واقع والتحرك بحرية للترويج لأفكاره المتشددة، ما يؤكد أن التيار الذي يحاول أن يلتصق بالسلطة للنموه عن هويته هو والإخوان وجه وقفا لحقيقة واحدة، وهي تسييس الدين، وهو الميدان الذي ترفضه الدول العربية أن تتركه لغيرها كونها المؤمنة بسلطة علي.

ويتم السكوت عن مخاطر التيار المدخلي لحسابات سياسية ظرفية، مثلما جرى في مصر، حيث استفادت السلطات من الخطاب الديني الحاد للتيار السلفي بمختلف تلويناته (وأولها المدخلي المهادن) في معركتها مع الإخوان، لكن بعد أن هدأت عاصفة الجماعة بدأ المصريون يقفون على مخاطر تسلسل السلفيين إلى المجتمع ومحاوله الاستقواء بالعلاقة مع الحكومة لفرض تأويل ديني متشدد في مدونة الأسرة.

والأمر نفسه في ليبيا، حيث استفاد المدخلي لحسابات سواء في طرابلس من التحالف مع حكومة الوفاق أو في الشرق عبر تحالف ظرفي مع الجيش في الصراع مع الجماعات المتشددة لفرض نمط اجتماعي متشدد على الليبيين في أكثر المدن انفتاحاً مثل بنغازي.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه ما الذي يفرق بين الإخوان والمدخلة في مسألة توظيف الدين لأجندة سياسية، والمخاوف من تغيير طبيعة المجتمع لخلق مناخ من التشدد يفرض على الناس نمطا وافداً من السلوك وأرباباً فقيهاً يقوم على نفي التاويلات المخالفة للنص.

التمايز عن الإخوان

من البداية، كان ظهور التيار المدخلي مرتبطاً بالخلاف مع تيار الصحوة، الذي يسيطر عليه الإخوان والسورية كنموذج هجين وانتهازي يجمع بين الجانب الدعوي السعودي المستمد من أفكار محمد بن عبد الوهاب، وبين الفكر الإخواني الوافد الذي كان يتحكم في التعليم السعودي بفعل "عزوة" ناعم تسلسل من بوابة تعاطف المملكة مع محنة الإخوان بعد صراع دام مع الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر، وهذا التعاطف لم يكن واعياً بحجم

يحيا النظام

من الحكم في المنطقة، وهي طبقات تمتلك خبرات في التعاطي مع الجماعة كتنظيم مزاجم استراتيجياً لطبيعة الدولة القطرية، فضلاً عن طمأنينة الدول الغربية عبر تنازلات كثيرة أحياناً تمس الجوهر، لكن دون تصيل فكري أو فقهي لهذه التنازلات، المهم هو أنها تفتح أبواب الاعتراف بهم وتطفي المخاوف تجاههم. وفي المقابل، فإن المدخلة، الذين لم يتعرضوا بعد لمحن المواجهة مع الأنظمة، فإن هامش الثقة لديهم لا يتجاوز طمأنينة الحاكم إلى كونهم سيظلون مناصرين له في كل الحالات، لكنهم لا يخفون الوجه الصامسي تجاه المجتمع، وهو ما بدأ بشكل واضح في ليبيا، حيث استفاد التيار المدخلي من تحالف هش مع حفتر للانطلاق في هدم الأضرحة بزعم أنها شرك بالله، ومنع خروج النساء كونه يؤدي إلى "الفتنة"، فضلاً عن حملة شديدة على الحفلات العامة والخاصة بسبب مواقف متشددة من الموسيقى والمسرح والرقص والاختلاط.



سفيان لأكرو
التيار المدخلي قائم
على التأييد المطلق
للسلطة

كما تشن ميليشيا الردع في طرابلس بقيادة عبدالرؤوف كارة حملات للتصدي للاختلاط بين الجنسين داخل المقاهي وتضايق النساء غير المحجبات في الشوارع.

ويشير تقرير "معالجة صعود السلفية المدخلة في ليبيا" الصادر عن مجموعة الأزمات الدولية إلى أن "المدخلة متطرفون ينفذون أجندة لتغيير المجتمع، ويرون في الهجمات اللفظية، وأحياناً الجسدية، للمجموعة على جملة من الأهداف المتنازلة بين العلمانيين، والإسلاميين الآخرين، وأفراد الطرق الدينية مثل الإباضيين، والصوفيين، والشنطة من نساء وشباب، واستخدام المؤسسات الدينية للدولة لنشر عقيدتهم المحافظة المتشددة كاستراتيجية لفرض

أعراف ثقافية ومجتمعية جديدة". ويحذر متابعون من خطورة التغاضي عن تصاعد هيمنة التيار المدخلي على ليبيا على المدى البعيد نظراً لتأثيره على الاعتدال والوسطية اللذين يعرف بهما المجتمع الليبي.

منها بشكل مباشر، مشيرين إلى أن موقفهم في ليبيا، إذ كانوا مع الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي، ويسقطه انقساموا إلى فريقين، واحد مع المشير خليفة حفتر، والثاني مع نوار طرابلس. والأخطر أنهم حملوا السلاح وصاروا طرفاً محورياً خاصة في إسناد حفتر، ما يعني أن الخوف من الفتنة التي قد يقود إليها تقابل المسلمين، وهي مسوغ التحالف مع الحاكم مطلقاً، لم يعد شرطاً. ويقول ربيع المدخلي، الذي سُمّي التيار باسمه، إن "الإخوان المسلمين لم يتركوا أصلاً من أصول الإسلام إلا تقصوه"، وإنهم "أصحاب بدعة وضلال وإنهم أضل من مبتدعة العصور الماضية".

ويرى الأستاذ بمعهد العلوم السياسية في باريس ستيفان لأكرو في كتابه "زمن الصحوة" أن التيار المدخلي قام على أمرين: أولهما التأييد المطلق للسلطة انطلاقاً من ظواهر النصوص التي تؤكد على طاعة الحاكم. دون منح أدنى فرصة لمخالفته لأن تقد السلطان قد يكون مدخلاً للفتنة، أما الأمر الثاني الذي قام عليه التيار المدخلي فهو الطعن في المخالفين وتبديعهم ونقد تيار الصحوة بشكل حاد دون السماح بأي درجة من درجات الاختلاف.

ويشارك الإخوان والمدخلة في التقيّة والتسلسل إلى المؤسسات في غفلة من الحاكم ومحاوله تحويلها إلى ورقة ضغط ومساومة، ويمكن الإشارة إلى تصريحات رموز إخوانية كثيرة تمجد هذا الرئيس أو ذاك الملك أو الأمير في مسعى لطمأنته وكسب وده إذا كان ذلك سيؤدي إلى إطلاق أيديهم للتحكم في الشأن العام، وخاصة الإمساك بالمنابر الدينية والتعليمية، مثلما جرى في دول الخليج منذ الستينات وإلى سنوات قليلة ماضية، أي إلى أن أفاق الخليجيون على حجم المارد الذي يتحكم بحياتهم ويعمل على ربطهم باجندات خارجية.

تقيّة وصدام

اضطر الإخوان في صراعهم الطويل مع الأنظمة، وعزلتهم كمجموعات منغلقة عن الناس، إلى تقديم تنازلات تكتيكية تتعلق بإخفاء شعار "الإسلام هو الحل" والبحث عن أشكال من المشاركة والتنمية لتبديد مخاوف الناس، والطبقات المقربة

في المؤسسات الدينية، وهو ما يحصل لاعتبار التقيّة لدى جماعة الإخوان، خاصة في منابر الشأن الديني.

تناقض الوسائل

يشير الخبراء إلى وجود مشترك فكري حول الرؤية المتشددة تجاه المجتمع وتحريم الثقافة والفنون ودور المرأة، ويتضح هذا خاصة في كتابات سيد قطب في مرحلة معالم في الطريق، وفي أدبيات التيار المدخلي ومعارضة منتسبيه للانفتاح في السعودية. لكن الفوارق تكمن في النظر إلى السياسة والحاكم، أي في الوسائل، وليس في الأهداف الكبرى، وعلى رأسها بناء مجتمع إسلامي يهيمن فيه الفكر المتشدد، فيما يقول الإخوان بالفورة لأجل تحقيق أفكارهم، يعمل المدخلة على نصرة الحاكم وتكفير الخروج على ولي الأمر ما دام يوفر الاستقرار ويحفظ إقامة الشعائر الإسلامية. كما يعتبرون الثورة فتنة تعرض أرواح الناس للخطر، وهذا ما ظهر في مواقفهم من "ثورات الربيع العربي". ولا يستبعد الخبراء أن يغير المدخلة موقفهم من الثورات لو كانوا مستفيدين

وإدنية تستخدم في كل الدول مستفيدة من أخطاء جماعة الإخوان ورغبتها الجامحة في الوصول إلى السلطة وسياسة تغيير الحلفاء والرهان على العامل الخارجي، وخاصة الاستدارة ضد السعودية والهروب باتجاه إيران ثم صدام حسين ولاحقاً قطر فتركيا.

ورغم أن الملعب خلا للتيار المدخلي في دول كثيرة، لكنه لم ينجح في تثبيت نفسه كقوة دينية معبرة عن السلطات القائمة، لسبب رئيسي، وهو أن العلاقة مبنية على تبادل الخدمات والمصالح بشكل ظرفي، وحين تستقر الأوضاع تعود الدولة لبيسط سلطتها على مختلف المجالات الحيوية (الدين والإعلام والثقافة والترفيه والرياضة) ولا تقبل مطلقاً بأي لعب يهدد نفوذها، لكنها تسمح في بعض الوقت بكسر القاعدة في سياق سياسة التنفيس لمنع الانفجار.

ويقول خبراء في التيارات الإسلامية إن التيار المدخلي يحرص دائماً على إظهار أنه تقيّ حقيقي للفكر الإخواني حتى لا يتهم بأنه يلعب دور الواجهة لهم في حالة استهدافهم، أو أن يسمح لهم بالتسلسل في مفاصله لإحياء نفوذهم

"الخطر" التاويلي الديني للإخوان على الهوية الدينية المتحفزة في المملكة بقدر استجابته للمناخ بين مصر والسعودية خلال الحرب الباردة.

كان ظهور تيار المدخلة ردة فعل سياسية على الخطوة التي كان يتمتع بها الإخوان، والذين شقوا عصا الطاعة بسرعة بمعارضتهم لوجود قوات أجنبية في السعودية خلال الفترة المرتبطة بغزو الكويت والتدخل الدولي ضد صدام حسين وما تبعه لاحقاً من عمليات تفجيرية ضد القوات الأميركية في السعودية.

وفيما اختار الإخوان صف صدام في معارضة وجود قوات أجنبية بالمنطقة في تحد للموقف الرسمي، عمل المدخلة على كسب ود السلطات من خلال رؤية تقوم على تنزيه الأمير ومواقفه وأفعاله بقطع النظر عن ماهيتها وأهدافها بغاية ملء المكان الذي كان يشغله خصومه سياسياً وفقهياً.

وأكسبت مواقف التيار المدخلي القوية ضد الإخوان ثقة السلطات الرسمية في السعودية ما فتح له باب التأسيس لنفوذ، ثم تحولت الحركة البراغمية إلى استراتيجية سياسية



يشارك الإخوان والمدخلة في التقيّة والتسلسل إلى المؤسسات في غفلة من الحاكم ومحاوله تحويلها إلى ورقة ضغط ومساومة

